الدراسات البينية: نحو استراتيجية بديلة في البحث العلمي

Interdisciplinary studies: towards an alternative strategy in scientific

خميس نادية*

مخبر المتخيل الشفوي وحضارات المشافهة والكتابة والصورة

جامعة باتنة1 الحاج لخضر

nadia.khemis@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 14-**07-2021** تاريخ القبول: 31-**10-2021**

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى بيان أهمية الدراسات البينية في راهن البحث العلمي؛ لما أثبتته من مقدرة على تجاوز عدد من الإشكالات العالقة في ميادين العلم أحادية التخصص، ما استدعى التوجه إلى الحقل العابر للتخصصات كاستراتيجية بديلة أحسنت ربط العلوم المختلفة وأعطتها قدرة الانفتاح فيما بينها، مولدة بذلك حقلا معرفيا ينطلق من فكرة التفاعل بين مختلف التخصصات وغايته تحقيق التكامل ما أمكن.

وقد تسلح البحث في هذا الطرح بآليات المنهج التحليلي لبيان ماهية الدراسات البينية وإشكالية منظومتها الاصطلاحية، مشيرا إلى أهم خصائصها وأبرز مجالاتها،مؤكدا في الأخير المكانة القيمية لهذا النوع من الدراسات في البحث العلمي إن على المستوى المفاهيمي أو على المستوى المنهجي حيث ستنبثق رؤية عابرة للتخصصات تعمل على كسر حواجز المنع بين مجالات العلم.

الكلمات المفتاحية:دراسات بينية؛بحث علمي؛ تخصصات أحادية؛ استراتيجية.

Abstract:

This research paper seeks to illustrate the importance of inter-studies in the current research topic. Because of its ability to transcend a number of outstanding problems in the unified fields, what necessitated heading to the trans-field of disciplines as an alternative strategy that improved the linking of different sciences

.

The research armed in this discourse with the mechanisms of the analytical approach to show what interfacial studies are and the problematic of their idiomatic system, pointing to the most important characteristics, stressing at the end to the value position of this type of studies in scientific research. where a transient vision of disciplines will emerge It works to break the barriers of prevention between the fields of science.

*-**المؤلف المراسل.**

Keywords: Interdisciplinary studies; scientific research; mono disciplines; Strategy.

مقدمة:

يتناول هذا البحث بالدرس والتحليل واحدا من الحقول المعرفية الحديثة التي يشهدها البحث العلمي كتوجه في جامعاتنا العربية اليوم، وأعني به الدراسات البينية (Interdisciplinary studies) ،وقد تمخض هذا الاتجاه المعرفي الجديد في النصف الثاني من القرن العشرين في أوربا نتيجة الانفجار المعلوماتي، وتغير المعطيات العلمية والحضارية، ما فرض على الدرس العلمي المعاصر التوجه نحو الحقل العابر للتخصصات؛ لقدرته على حل الإشكالات العالقة التي لم تسعفها جهود أهل الاختصاص الواحد، بل تقتضي التشارك بين عدد من العلوم ؛بهدف توسيع وجهات النظر والوصول إلى أكبر قدر من المخرجات العالية الجودة كحصيلة تفاعل بين هذه الحقول.

وكما أنّ لكل مرحلة من مراحل مسيرة العلم سياقاتها الخاصة ومفرزاتها المفاهيمية والاصطلاحية والمنهجية،فإنّ الدعوة إلى الممارسة البينية انبنت عند المشتغلين بهذا الحقل على أسس منهجية مضبوطة،بل وحققت من المكاسب المعرفية ما أثبت فاعلية هذا التوجه،ومن ذلك انبثاق تخصصات بينية هجينة تولدت من فروع علوم ما كان يعتقد أنها ستتلاقى كإحداث منطقة وسطى فاعلة بين التخصصات العلمية الدقيقة والعلوم الإنسانية، إضافة إلى هجرة المصطلحات والمناهج بين الدوائر العلمية ،ما أوجد حقولا موّلدة لها قوانينها وقواعدها الخاصة وفق نظريات ومناهج اختصت وعرفت بها فيما بعد.

استنادا إلى الطرح السابق، فقد انبثق البحث من جملة إشكالات يمكن إيجازها فيما يلي:

- ما طبيعة الدراسات البينية ؟ وما منهجيتها ؟
- ما حاجة جامعاتنا العربية اليوم لمثل هذا التوجه العلمي؟
- ما هي الاستراتيجية المعتمدة لتفعيل هذا التوجه في بحوثنا الأكاديمية؟

2- تحولات مسار العلم: من الموسوعية إلى البينية

يرى المستقرئون في تاريخ العلوم أنّ البينية مرحلة تالية لمرحلتي الموسوعية والتخصصية؛ فالموسوعية ظاهرة معرفية تلازم الفكر الإنساني عندما تنشط الحركة العلمية وتكثر إيراداتها التأليفية في جو تنافسي،"فيتمكن الإنسان من خبرات معرفية أوسع

وأشمل، ومن منطق جمالي يختزن الخبرات البشرية المتقدمة عليه"[1] فيطلق عليه المفكر الموسوعي.

وميزة الفكر الموسوعي عرفت منذ فجر العلوم، فبرز علماء أفذاذ في مختلف الحضارات الإنسانية أحسنوا نظم معارفهم في عقد ضمّ صنوف المعارف،وإذا يممنا بصرنا شطر حضارتنا العربية الإسلامية ،وجدنا أنها قد أظلت ثلة من العلماء الموسوعيين ممن نهلوا من معين معرفي متعدد المشارب ما هيّأ لهم ثقافة موسوعية متعددة العلوم وعابرة للتخصصات كالجاحظ وابن سينا والرازي وابن رشد...،ممن خلفوا رسائل علمية جمعت مع موسوعية الطرح أحادية التخصص تمكنا وتعمقا.

إن الفكر الموسوعي في حضارتنا العربية الإسلامية إنما كان ثمرة حقبة تبنّت فكرة الالتفاف حول النص القرآني"بوصفه كتابا مؤسسا للاشتغال البحثي ولنمط مركب من التفكير يدفع نحو التعليل والبحث عن الأسباب والظواهر المباشرة وراء المسائل محل التباحث"[2]، فتكونت كوكبة من العلوم التي تفاعلت وتكاملت؛ لإضاءة النص والاستضاءة به، فكان هذا الكتاب الكريم مسؤولا بدرجة أولى عن تأسيس هذا الفكر الموسوعي ومن خلفه العلماء الموسوعيين.

وقد احتكم الاتجاه الموسوعي عموما إلى سياق مرحلة كانت لها خصوصيتها المعرفية، إذ يمكن القول إن "جوهر التقدم العلمي لم يكن مؤسسا على التعارض بين العلوم المختلفة الميادين ،بل كان يسير على أساس تضافر مفردات أي علم وتوظيفه لما لدى العلوم الأخرى"[3]، وقد استمرت هذه النزعة لفترة غير قصيرة مع الحضارة الغربية، إلى أن بدت بوادر متغيرات حضارية ومعرفية ظهرت تحت وطأة سياقات خارجية وداخلية فرضتها الحركة التوسعية للمعرفة باتجاه عمودي مع تزامن ظهور تخصصات تناسلت من الحقول المعرفية الكبرى ،ما أنتج تراكما معرفيا أوجب من أهل العلم العمل على تقنين وتقعيد التخصصات العلمية وفق نظريات ومناهج عرفت بها واختصت بها فيما بعد "ولا ريب في أنّ

---

[1] الألوسي تيسير عبد الجبار ،الموسوعية والتخصص بين نور المعرفة وظلام الجهل في حالتي التخلف والتقدم التكنولوجي، Somerion-states.com 2018

[2] النجار مازن، التخصص أم الموسوعية -هل المنهج العابر للتخصصات هو مستقبل الإنتاج المعرفي؟،القناة الثالثة الجزيرة الثقافية، jazera.net Al 2019-11-6 .

[3] الألوسي تيسير عبد الجبار ، مرجع سابق.

النزعة التخصصية التي ميزت مسار العلوم قد كان لها فوائد كبرى ونتائج مثمرة لا تكاد تحصى في اكتشاف ما لم يكتشف من الطبيعة والإنسان، وتطوير حياة البشر في مختلف مجالاتها"[1].

وإذا كان التفاعل سمة النزعة الموسوعية ،فإن الانغلاق والاستقلال على مستوى اللغة والاصطلاح والمناهج سمة النزعة التخصصية، وهذه الوجهة بلا ريب ستولد "انعزال أهل كل تخصص عن غيرهم ،مشتغلين بالمشاكل والقضايا الخاصة دون الاهتمام لعلاقة شواغلهم بما يجري في مجالات بحثية أخرى، ولا بدلالات نتائجهم وتأثيرها في تلك المجالات القريبة أو البعيدة في حياة الإنسان ومحيطه"[2] مما سيحدث فجوات فاصلة بين العلوم والمعارف، وهي إشارة نبه أفلاطون إلى خطورتها منذ عصره حين قال:"ما من طريقة أشد في القضاء الجذري على أي خطاب كعزل كل حقيقة فيه عن علاقاتها ببقية الحقائق؛ لأنّ الخطاب إنما ينشأ بالترابط المتعاضد للأشكال"[3]، هذا الانفصام/الانفصال انبثقت عنه مشاكل داخل الميادين، وأسئلة عالقة ما دعا إلى إعادة النظر في كثير من الأحكام التي كانت تعامل معاملة المسلمات، وبدت تلوح في أفق البحث العلمي دعوة إلى استراتيجية خطاب جديد ،مهدت له مجموعة معطيات أشار إليها الفيلسوف الفرنسي إدغار موران" **Edgard Morin"** حين تحدث عن ظاهرة جديرة بالنظر في مسار العلم الحديث هي "هجرة المفاهيم والمصطلحات والإشكاليات والمناهج من تخصصات ودوائر علمية إلى أخرى ،مما ساهم في إخصاب التخصصات المستقبلة ،أو بتشكل تخصصات هجينة لا تلبث أن تستقل وتشكل نظامها الخاص"[4]،وهو ما أطلق عليها بالبينية (Interdisciplinary) أو العبر ميدانية.

وقد ردّ الدكتور صالح بن الهادي رمضان دواعي هذا الانبثاق العلمي الجديد في بحثه القيم حول البينية إلى عدد من الأسباب:

---

[1] بنخود نور الدين ، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات فهرسة وتمهيد،مجلة الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الإمام مالك بن سعود الإسلامية السعودية(د.ت)، ص7.

[2] م.س،ص7.

[3] قماري محمد،التفكير البيني نحو كسر للحواجز بين التخصصات،مجلة مقاليد،الرباط،ع14،2018،ص26.

[4] بنخود نور الدين ، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات فهرسة وتمهيد،ص7.

1. التحول الجذري الذي عرفته النظريات المعرفية منذ أواسط القرن الثامن عشر وكان لإموائيل كانت "**E.Kant** " بعيد الأثر فيها.
2. انتقال الفكر العلمي العالمي من فكر دائري تُرد بمقتضى قوانينه جميع الجزئيات والتفاصيل والمفردات والفروع والأصول المعروفة،وترد فيه الأشياء المتنوعة في كافة مظاهر الحياة إلى النموذج المتفرد أو إلى خلية الأم ،تختزل الظواهر على تعقدها في عنصر بسيط يفسر نشأتها.
3. تجديد الخطاب العلمي بانتقاله من فكر الأشباه والنظائر إلى فكر أفقي انتشاري منفتح.
4. تحول فلسفة العلوم من فلسفة تصنف العلوم وترتبها بحسب موضوعاتها إلى فلسفة تنظم صلات العلوم بعضها ببعض.[1]

وعليه، فالحركة الداخلية لتاريخ العلم تمخضت عن حركة فكر بيني، عمل كمحرك لتطوير نظريات المعرفة والخروج بها إلى حقل أوسع، ينبني على حركتي الارتداد والامتداد في الوقت ذاته؛الارتداد إلى الأصول المرجعية لكل علم نبشا وحفرا في جزئيات التخصص،والامتداد بمخرجات كل تخصص في اتجاه أوسع ينبني على تبادل الخبرات وتفاعلها والارتقاء بها إلى تكامل معرفي في عامة الحقول.

3-البينية :ماهيتها ودلالتها

1.3التعريف اللغوي:

الحديث عن البينية هو حديث عن مصطلح أخذ مكانة مفاهيمية داخل حقله المعرفي،لكن قبل حصره دلاليا في إطاره التخصصي ،نجد أن لهذا المصطلح امتدادات في معاجمنا العربية؛إذ جاء في لسان العرب"البين في كلام العرب جاء على وجهين:يكون البين الفرقة،ويكون الوصل؛بان يبين بينا وبينونة وهو من الأضداد.وشاهد البين بمعنى الوصل قول الشاعر:

لقد فرق الواشين بيني وبينها فقرت بذاك الوصل عيني وعينها

وقال قيس بن ذريح:

---

[1] رمضان صالح بن هادي(2016)،التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية،مركز دراسات اللغة العربية وآدابها،جامعة الإمام محمد بن سعود ،الرياض ،ص34.

لعمرك لولا البين لا يقطع الهوى ولولا الهوى ما حنّ للبين آلف

فالبين هنا الوصل"[1].

وجاء في المعجم الوسيط"البين ما بين القوم من القرابة والصلة والمودة أو العداوة والبغضاء"[2].

وعليه نصل أنّ افتعال حدود فاصلة للتباعد والتنائي يعرف بالبين، كما أن الوصل المبني على القرابة والمواءمة دال على البين، فكانت الكلمة بهذا من الأضداد.

2.3-التعريف الاصطلاحي:

البينية من المصطلحات الناشئة في منظومتنا المعرفية العربية، رغم أنه عرف في الحضارة الغربية منذ منتصف القرن العشرين.وكلمة بينية (Interdisciplinary) مركب اسمي مكون من مقطعين(Inter) ويعني بين، و(discipline) ويعني حقلا معينا من الدراسة.

ومن هذا المنطلق، فالبينية "عملية تقوم على الجمع بين كفاءات أو أفكار آتية من ميادين علمية أو فكرية مختلفة لتحقيق هدف مشترك، وذلك بالتوسل بمقاربات مختلفة لمواجهة مسألة بذاتها أو مشكل بذاته"[3].

ويكون التداخل عادة وفق منهجين: تدخل بيني ضيق ،يكون بين الحقول المتقاربة كحقل العلوم (فيزياء، كيمياء، جيولوجيا...)، أو العلوم الاجتماعية (كعلم النفس، علم الاجتماع وعلم الإنسان)، أو العلوم الإنسانية (الأدب، الفنون، التاريخ والفلسفة). أو تداخل بيني واسع يكون أكثر تعقيدا؛إذ تتداخل فيه اختصاصات لم يكن من السهل تلاقيها قبل البينية من ذلك السبق المعرفي الذي توج به جون بروكمان "**J.Brokman** " ملحمة التحاور بين العلم والأدب في القرن الماضي بكتاب بيني غاية في الأهمية سماه الثقافة الثالثة"[4].

وينتج عن هذا التداخل ما يعرف بالدراسات البينية (Interdisciplinary studies) ،وهي حقول معرفية جديدة تولدت عن التداخل ما بين حقلين أو أكثر من حقول المعرفة

---

[1] ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم(1956)،لسان العرب،دار صادر،بيروت مادة بين،

[2] أنيس إبراهيم،عبد الحليم منتصر وآخرون(1960)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية،مصر،مادة بين.

[3] جهاد حسن كاظم، البينية نشأتها ودلالتها، مجلة جامعة الملك سعود للآداب،الرياض،مج25،ع2،2013،ص80.

[4] رمضان صالح بن هادي، التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية،ص14.

التقليدية (Discpline) متجاوزة بذلك فكرة التخصصات المغلقة، ومنفتحة على إمكانية تعابر الاختصاصات(Transdiscplinarity) ،وهي الفكرة التي طرحها إدغر موران **Edgard Morin** حين رأى أنّ "تاريخ العلوم ليس تاريخ نشوء الميادين وتكاثرها،بل هو أيضا وفي الآن ذاته تاريخ تجاوز الحدود الفاصلة بين الميادين،وتاريخ انتشار عدد من المشكلات من ميدان إلى آخر،إنه تاريخ انتقال المفاهيم وقيام ميادين مختلطة تنزع إلى الاستقلال هي أيضا،إنه أخيرا تاريخ نشأة عقد تنخرط فيها وتتلاحم وتندمج ميادين متعددة"[1] وهذه الميادين المتولدة تحكمها ضوابط ابستمولوجية إن على مستوى الأداة،أو على مستوى المنهج كثمرة مقدمات منهجية مضبوطة يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

- إمكانية تقارض المفاهيم بين التخصصات بهدف انفتاح الرؤية ومرونة المراس؛إذ "البينية ضمانة للتجدد الدائم الذي من شأنه أن يشجع على حدوث تغيرات محتملة للأقيسة المعمول بها في مختلف الميادين،وعلى التحكم بهذه التغيرات" [2]تستند البينية إلى" مفاهيم قادرة على أداء دور الفاعل الذي يربط الاختصاصات فيما بينها"[3].
- مراعاة مبدأ الوقوف على مسافة واحدة من التخصصات المتشاركة، فتكون البينية بذلك وسيلة لتحقيق هدف مشترك ينبني على حوار مثمر.
- إنّ ميزة التفاعل بغرض التكامل بين مختلف الميادين العلمية جعل البينية حقلا معرفيا، وهي النتيجة التي خرج بها العلماء المختصون حين استبدلوا مصطلح العلم بمصطلح الحقل المعرفي.

إن الحديث عن استراتيجية بديلة في البحث العلمي أصبح واقعا تمليه طبيعة العصر؛فتشعب المعارف من جهة، وانحسار العالم تحت مظلة العولمة من جهة أخرى جعل العلوم تتداخل وتتمازج ،فأصبح"اختلاط العلوم بعضها ببعض هو القاعدة

---

[1] جهاد حسن كاظم، البينية نشأتها ودلالتها،ص24.

[2] المرجع السبق،ص 245.

[3] قماري محمد،التفكير البيني نحو كسر للحواجز بين التخصصات،مجلة مقاليد،الرباط،ع14،ص4

تقريبا،وأخذت هذه العلوم في التزايد والامتزاج فيما بينها ،وأصبحت حدودها متحركة وغير ثابتة"[1] فنشأت شبكة من العلاقات بين البنية العامة لهذا الحقل.

4-حقول البينية:

إنّ المنظومة المعرفية والتمثلات الفكرية للبينية تمخضت عن حقول بينية تم تصنيفها استنادا إلى مميزاتها المفاهيمية و ضوابطها الاصطلاحية. هذه الأخيرة التي ضمنت ترسيم الحدود ومنعت تداخلها،لذلك اعتبر طه عبد الرحمن قوة الاصطلاح من قوة السلاح حين قال: "إنّ قوة الاصطلاح غدت لا تقل عن قوة السلاح" [2]،ويشير الباحث الفرنسي إدغر مولان" **Edgard Morin** " إلى الميادين المولدة التي أوجدتها الحقول البينية التي أسهمت في التأريخ لتاريخ العلوم إذ قال:"إذا كان التاريخ الرسمي للعلم هو تاريخ التخصصية Disciplinarity ،فإن تاريخا آخر متصلا به أشد الاتصال وغير منفصل عنه هو تاريخ التخصصية البينية Interdisciplinarity ، والتخصصية المتجاوزة Transdisciplinarity، والتخصصية المتعددة Polydisciplinarity"[3].

و عليه، واستنادا إلى النص السابق نجد أن هناك العديد من المصطلحات داخل هذا الحقل:

1.4-التخصصية المتجاوزة Transdisciplinarity:

يطلق عليه أيضا (تعابر الاختصاصات) أو (العبر ميدانية) ؛ وهو حقل ذو" نشاط معرفي يخترق مختلف العلوم دون أن يكون مهموما بمراعاة ما يفصل بينهما من حدود"[4] بمعنى:

- التقاء التخصصات في إشكالية معرفية ما مع تبادل الخبرات وإثراء كل تخصص بمفاهيم ومنهجيات تخصص آخر، وهو ما تعنيه السابقة"Trans" ؛إذ تجعل المصطلح"يعني في آن معا ما هو بين التخصصات وما هو عابر لمختلف

---

[1] بلانشير روبير (2014)، نظرية المعرفة العلمية،تعر حسن عبد الحميد،دار رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،ص141.

[2] عبد الرحمن طه ،الحق العربي في الاختلاف الفلسفي،المركز الثقافي العربي،ط1،المغرب،ص79.

[3] نور الدين بنخود ، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات فهرسة وتمهيد،ص10.

[4] جهاد حسن كاظم، البينية نشأتها ودلالتها،ص243.

التخصصات وما هو مجاوز لكل تخصص"[1] وهذا الثراء المعرفي قد يؤول إلى تغير في الرؤى،أو في المناهج البحثية نتيجة فعل الانفتاح واتساع الرؤية.

- الأدوات الإجرائية المنهجية في هذا الحقل تجعل فعل التجاوز بين المعارف العلمية يتزيا بمظهر التحول المنفعل؛ذلك أنّ الخروج من قوقعة التخصصات العلمية الدقيقة ذات التوصيف المنضبط والتجريدي إلى فسحة العلوم الإنسانية ذات الحمولة الثقافية والإنسانية والروحية، تجعل العلوم الدقيقة تكتسب رؤية شمولية للعالم بفعل الروابط التي تلتقي في منطقة وسطى داخل نظام الحقل البيني المتولد ؛ وهي رؤية لا تجنح لا إلى التجريد، ولا إلى التعميم، بل ستستند إلى مبدأ التساند الحواري من خلال التبادل التفاعلي بينهما.
- لقد حرصت التخصصية "Disciplinarity" على"الموضوع الخارجي في المعرفة والتعقل التحليلي ،وبالتالي الحياد إزاء موضوع البحث والابتعاد عما هو ذاتي وقيمي"[2] ،لتأتي التخصصات العابرة وتحدث منطقة وسطى بفعل التبادل مع العلوم الإنسانية بخاصة محدثة توازنا بين عالمين غيبهما فكر العولمة المحتكم إلى قناعة تشيئ العالم، فتتموضع المعرفة في هذا الحقل تموضعا بينيا عبر تبادل التأثير العلمي/القيمي كمحصلة جديدة لعلاقة العلوم الدقيقة بالعلوم الإنسانية.

2.4-التخصصية المتعددة Polydisciplinarity :

يطرح هذا المصطلح فكرة التعدد ،وهو ما تشير إليه السابقة **Poly**" التي تعني التعدد والكثرة ؛والتعدد هنا يكون عبر ممارسة متعددة الميادين يتم فيها التقاء فرق بحثية من تخصصات مختلفة حول قضية مشكلة،فيطرح كل تخصص رؤيته دون أن يتدخل في بقية التخصصات، والنتيجة تكون بمقابلة مجموع النتائج الفردية وحوصلتها.

وعليه فطبيعة هذا التخصص تكون ب:

- استعارة معلومات من مجموع التخصصات دون حدوث تفاعل فيما بينها.

---

[1] بنخود نور الدين، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات فهرسة وتمهيد،ص13.

[2] المرجع السابق،ص14.

- لا يضطر أي تخصص بفعل عملية المشاركة إلى تغيير رؤيته أو إعادة توجيه مساره.

مجمل القول: إنّ البينية بحقولها تتأسس على مبدأ التحاور والتبادل المعرفي/المعلوماتي بين التخصصات، وتشكل مع حقولها ثمرة انفتاح البحث العلمي على المعرفة الشاملة بتنظيم تشابكي، وفق تكامل معرفي يضمن تقدم العلم وتطور آلياته المنهجية والمصطلحية. (الشكل1)[1].

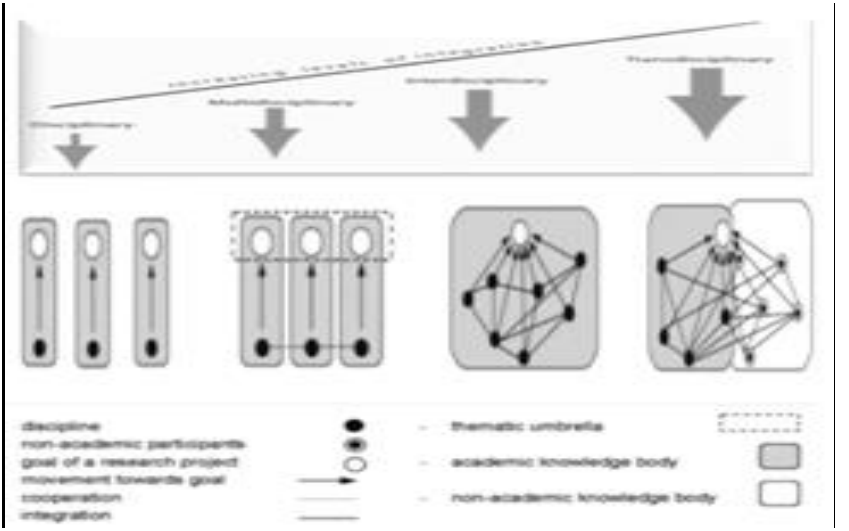

الشكل1: حقول الدراسات البينية وأهم خصائصها المصدر: محمد الملوكي2020.

5-أهمية الدراسات البينية ودواعي تفعيلها في البحث العلمي:

تأسست العناية بالدراسات البينية كاستراتيجية جديدة في توجهات البحث العلمي بناء على عدد من المسوغات المؤسسة على قيمة هذا الحقل المعرفي وحاصل تفعيله على صعيد البحث العلمي أولا ، ثم على المجالات الأخرى موضوع الدراسة التي ستستفيد من المخرجات البحثية لتنميتها،فأصبحت الحاجة كبيرة لمثل هذا التوجه لأسباب نجملها فيما يلي:

[1] الملوكي محمد ناجي(2020)، علاقة الدراسات التخصصية في ضوء الدراسات البينية في ضوء مشروع تطبيقي،ندوة منصة أريد الدولية،القاهرة،

- أصبحت الحاجة إلى الدراسات البينية ملّحة يتطلبها الواقع بشقيه العلمي والحياتي نتيجة التعقيد الذي تعيشه البشرية والذي لم يعد بالإمكان حسمه من وجهة نظر واحدة، بل يتطلب رؤى تحليلية من زوايا متعددة وهي سمة البينية.
- تجيب الدراسات البينية بفعل التشارك بين التخصصات عن الأسئلة العالقة بين علاقة العلم /التقنية بالإنسان /الروح...القيم.
- الدراسات البينية أنسب استراتيجية بحثية في عصر العولمة ،حيث سيتم تجاوز فكرة المركز/الهامش التي كانت سائدة في فترة التخصصية إلى فكرة التحاور/التفاعل بين مختلف التخصصات.
- بمجيء البينية أسقطت مقولة أفضلية العلوم وتراتبيتها، واتجهت النظرة نحو فكرة دمج المعرفة من خلال ربط المدارس الفكرية والتخصصات العلمية ، ومن ثمّ إزالة الحواجز بين التخصصات و تحقيق التكامل والوصول إلى رؤية شاملة .
- يترتب عن مقصدية الدمج التفاعلي الذي تتسلح به الدراسات البينية تطوير القدرات على عرض القضايا من وجهات نظر متعددة، فنكون بذلك أمام تفكير إبداعي يزود الباحثين بمهارات نقدية وتحليلية ورؤى واسعة للدراسة، من خلال "توفير إطار للنقد الخارجي تناقش فيه الآراء وتختبر الفرضيات الخاصة بكل تخصص،فهذا الحوار يمثل إضافة للتخصص الواحد لا يتوفر له عندما يكون منعزلا"[1].
- الموازنة بين الحقول المعرفية في المقاربة البينية من الضرورة بمكان وفق مبدأ "رفض الاختزال المنهجي" بالعمل على ملء الفجوات بين التخصصات الناتجة عن فكرة الانفصالية التخصصية والحركة العمودية للعلوم، ومحصلة ذلك تقريب المعارف من بعضها مع مراعاة خصوصية كل ميدان.
- تضمن الدراسات البينية للجامعات بيئة حوارية تسعى من خلالها لتوليد منطقة وسطى تتسم بروح علمية جديدة، ومتسلحة بآليات بينية مبتكرة من شأنها أن تحدث تغييرات للأقيسة المعمول بها في راهن البحث العلمي.

[1] بنخود نور الدين ، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات فهرسة وتمهيد،ص16.

- يترتب عن النقطة السابقة الدور الذي تقوم به الدراسات البينية في قدرتها على تهيئة طلبة باحثين مجهزين بمهارات بينية كالقدرة على:التحليل والقدرة على التفكير النقدي و القدرة على النقاش والقدرة على العمل في جو جماعي ، وكل هذه القدرات ستزودهم بقدرة الربط والارتباط مع المجالات العلمية المختلفة.

6-منهجية الدراسات البينية وآليات تفعيلها:

وصل البحث إلى أن البينية حقل معرفي ناشئ ومولد؛ نشأ من تداخل عدة حقول علمية ترابطت وتكاملت للوصول إلى مخرجات ذات جودة عالية.و القول بأنّ البينية حقل ناشئ لا ينفي أنها تستند إلى قواعد منهجية مؤسسة؛ إذ المستقرئ لتاريخ هذا الحقل المعرفي عند المختصين[1] يجده انبثق من حصيلة أبحاث خلصت إلى رؤية منهجية مضبوطة إما بشكل صريح أو ضمني.. .وما يمكن الخروج به من هذه الأبحاث أن الدراسات البينية تسير بمنهجية بحثية متقاربة، لكن الاختلاف فيها يكون على المستوى التطبيقي لموضوع البحث.

وتنحصر الخطوات المنهجية في مرحلتين أساسيتين:

1.6.الخطوات التمهيدية:

تتخذ الدراسات البينية مجموعة من الخطوات المنهجية التمهيدية المشتركة تتمثل في:

1. تحديد موضوع الدراسة وضبط إشكاليا ته.
2. حصر التخصصات المؤهلة لحل الإشكالية.
3. إعداد الفرق البحثية وإيكال مهام ضبط مفاهيم الإشكالية ورسم حدودها .
4. دراسة الإشكالية من وجهة نظر كل تخصص.

2.6.مراحل الدراسة البينية:

1. استخراج رؤية كل تخصص في المشكلة المطروحة وبيان تفاصيل الطرح وحيثياته، إلا أنّ منهج الدراسة ينبني على مسلمة أنّ"البينية لا تثق في أي طرح إلا إذا قام

---

[1] ينظر: -Klein Julie Tompson et William h.n(2001) alvancinginterdis essaya frome littérature new York.-Morin Edgard(1994) Sur l interdisciplinarité in bulletin interactif du C.E.RT n2 juin 1994. http//ciret-transciplinarity.org.

- البازغي سعد بن عبد الرحمن، (2013) ،الدراسات البينية وتحديات الابتكار، مجلة جامعة الملك سعود للآداب،الرياض،مج25،ع2.
- رمضان صالح بن هادي ،التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية،ص18

الجميع بالجلوس وحدث نوع من الحوار فيما بينهم...إذ إنّ نجاح البحوث البينية يعتمد على مواجهة الاختلافات والتباينات فيما بين فروع العلم المختلفة أثناء صياغة البرنامج البحثي"[1].

2. مقابلة رؤى التخصصات فيما بينها بتسليط الضوء على النقاط المشتركة والمختلف فيها.
3. تقييم نتائج المقابلة.
4. حل الاختلافات من خلال العمل على تقديم المصطلحات المشتركة ووضع مجموعة من الافتراضات للخروج بأرضية مشتركة تكون حلقة وصل بين التخصصات ، وتنبني هذه المرحلة على قاعدة"رفض الاختزال المنهجي" التي تؤكد في الوقت ذاته على تبني منهج تعدد ي في العرض والنتائج.
5. الخروج برؤية مشتركة بينية للإشكالية وفق مبادئ ونماذج مبتكرة يتم على أساسها بناء فهم جديد للإشكالية.

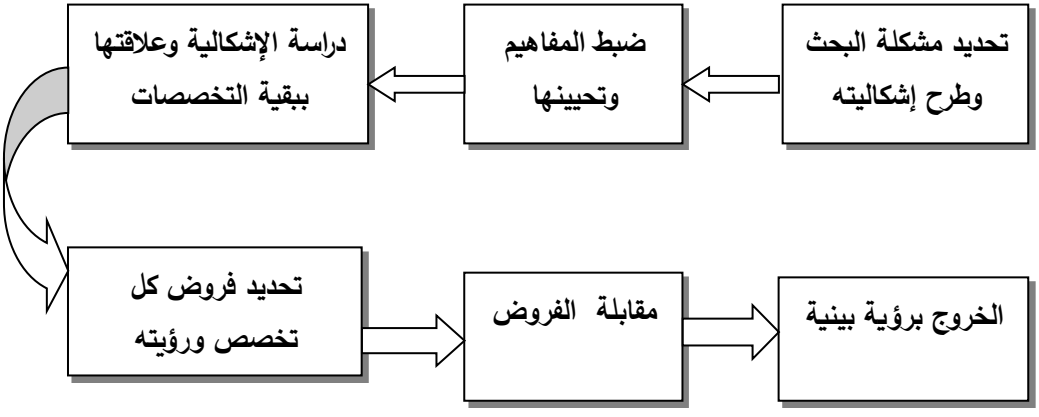

الشكل2:مخطط يمثل المراحل المنهجية للدراسات البينية

[1] خميس عبد الهاني،البحوث البينية وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية،جامعة السلطان قابوس،عمان.ص159.

7.الاستراتيجية المقترحة في جامعاتنا العربية:

الحديث عن استراتيجية فاعلة في جامعاتنا اليوم، يتطلب اتباع منهج خاص في التدريس،يقوم أساسا على الإيمان بمشروع الدراسات العابرة للتخصصات، وتفعيل هذا المشروع ليس ترفا علميا، وإنما هو ضرورة أملاها الواقع الذي أصبح لا يؤمن بمخرجات البرامج الجامعية التي تصنع طالبا عارفا في ميدان تخصصه ،لكن خبراته لا تمت إلى العالم الخارجي بصلة(أمية خارج التخصص)، لذلك نجد أنّ عددا من الجامعات العربية بدأت تتبنى هذا الخيار المنهجي، وبخاصة في المشرق العربي كالسعودية ومصر و الأردن وبعض دول الخليج، ويتضمن هذا البرنامج كما فصلت الحديث فيه الباحثة فرح قواسمي[1] في مجلة الفنار للإعلام-مجلة أكاديمية تعنى بشؤون البحث العلمي الأكاديمي مقرها بلندن وتصدر باللغتين العربية والإنجليزية- وفق جملة من الإجراءات:

- التحاق الطالب في الدراسات العليا بفرع "الدراسات البينية" في دورات صممت بطريقة تقدم للطالب في النهاية نهجا شاملا؛ بتزويد الطلاب بمهارات تحليلية وفق ثلاث مزايا رئيسة:

-الميزة الأولى:

تتمثل في إمكانية استفادة الطلاب القادمين من مجموعات واسعة من الخلفيات التعليمية والمهنية من برامج متعددة التخصصات.

-الميزة الثانية:

تتيح للطالب اختيارين بالنسبة لشهاداتهم النهائية ؛إذ البرنامج يشتمل على دورات من ثلاثة تخصصات:

- إما أن يركز الطالب على التخصصات الثلاثة جميعها والتخرج بدرجة "متعددة التخصصات".
- إما أن يتخصص الطالب في واحد أو اثنين من التخصصات، فيخرج بتركيز أحادي أو مزدوج.

-الميزة الثالثة:

---

[1] القوا سمي فرح،محجوب زويري ،الدراسات البينية مكاسب وتحديات للأساتذة والطلاب،مجلة الفنار للإعلام-عن التعليم والبحوث والثقافة.al-fanarmedia.Org

مسؤولية الجامعة في إعداد مخرجاتها من طلبة الدراسات البينية وفق ما يتواءم ومتطلبات سوق العمل ؛إذ يقدم الفرع للطلبة مجموعة واسعة من الخيارات الوظيفية ومرونة مهنية وهذا ما يعطي لهم فرص عمل أكثر.

إنّ هذا المثال يعد عينة لتوجهات بعض الجامعات نحو إعادة هيكلتها لتكون ذات منحى عابر للتخصصات توسيعا لدائرة البحث العلمي.

ويمكن حصر النتائج المترتبة عن هذه الاستراتيجية فيما يلي:

1. اكتناز عائدات البحث العلمي على المستوى الأكاديمي من هذه الاستراتيجية؛ حيث تولدت منطقة بينية عابرة للتخصصات تستند إلى "إطار مفاهيمي وفكري واصطلاحي مرجعي"[1]، محافظة في الوقت ذاته على الحدود والضوابط المعرفية لكل تخصص، وهذا ما سيزيد من فعل التشارك بين الباحثين.
2. اكتساب طلبة الدراسات البينية رؤية شمولية للقضايا المطروحة إن على الصعيد النظري أو البعد الإجرائي (الحياة العملية).
3. إ نّ طبيعة الآليات الموظفة في الدراسات البينية تمنح الطالب لغة علمية بينية ، كما تسلحه بالقدرة على طرح حلول مبتكرة لعدد من الإشكاليات البحثية.
4. أثبتت الدراسات البينية في بعدها التطبيقي تمكن الباحثين من تعديل نماذج نظرية سابقة، و تغيير عدد من المسلمات في تخصصاتهم بعدما تم النظر إليها من زوايا غير زاوية التخصص، وأبرز الفروع التي تحققت بهذه النتيجة العلوم الاجتماعية والإنسانية نتيجة المشكلات المجتمعية المعقدة التي يحتاج التعامل معها لأكثر من تخصص.
5. محصلة النتائج التي سجلت على طلبة الدراسات البينية أثبتت مدى قدرة الطالب على استيعاب علوم عابرة للتخصصات عندما تكون منهجية التدريس مضبوطة على مقاييس هذا الحقل.

---

[1] حسن عصفور محمد، الدراسات البينية والتخصصية في العلوم الإنسانية، مجلة جامعة الملك سعود للآداب، الرياض مج25،ع2 ،ص21

8.فرضيات ختامية:

خلاصة ما يمكن الخروج به بعد الحفر في مظان الكتب المتخصصة في هذا الحقل المعرفي، وبعد الاطلاع على جملة من توصيات الملتقيات العلمية التي تدارست هذا الموضوع يمكن إجمال أهم معالم الاستراتيجية البديلة في النقاط التالية:

1. ضرورة وجود سياسة بحثية تشجع الدراسات البينية، وتبرز مزاياها من ناحية المنهج الإبداعي الذي تقوم عليه و ميزة التحاور وتلاقح الأفكار بين الحقول العابرة للتخصصات،ما يغري الباحثين بالانضواء تحتها.
2. إنشاء مركز على مستوى الجامعات الكبرى لتبني مشروع الدراسات البينية واستقطاب الباحثين نحوه.
3. تأسيس لجان علمية في هذه المراكز من الخبراء في مجال الدراسات البينية "تتولى وضع المعايير والخطط الكفيلة لتفعيل هذا النظام ، وتوخي معايير الجودة وتطوير البحث العلمي ليواكب متطلبات المجتمع المعرفي الجديد"[(1)].
4. السعي لدمج مفاهيم الدراسات البينية داخل المقررات الدراسية والحث على توجيه أقسام الدراسات العليا لهذا التخصص عبر إحداث مقاييس عابرة للتخصصات يتولى تدريسها أساتذة أكفاء من أكثر من اختصاص يحسنون سبك المعلومات والقدرة على توجيهها في أكثر من اتجاه معرفي.
5. تشجيع الإشراف المشترك على الرسائل العلمية لتوسيع نظرة الطالب وجعل العمل أكثر مرونة .
6. العمل على تنسيق الجهود بين مراكز الدراسات البينية وأسواق العمل؛ ليكون التأطير وفق ضرورات تمليها متطلبات سوق العمل.

---

(1) محمد سيد بيومي محمد، (2013)، معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية دراسة ميدانية مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية،جامعة السلطان قابوس،عمان،2013،ص138.

الخاتمة:

إنّ تفعيل الدراسات البينية في راهننا البحثي يبقى مرهونا بإيجاد إجابات مقنعة عن أسئلة متجددة، يفرضها واقع البحث العلمي بكل تمثلاته، لكن هذا لا ينفي الدور الذي لعبه هذا الحقل في سد فجوات النسيج المعرفي، وإيجاد منطقة مشتركة للتفاعل والحوار، ولعلها أرضية البينية التي تقوم عليها جملة من النتائج:

- البينية عود على بدء إلى الموسوعية، لكن بمنطق العصر ولبوسه؛ إذ يتم فيها الانطلاق من التخصص كقاعدة معرفية ثم الانفتاح على بقية المعارف التي من شأنها أن تضيف إليه وتعضده، فكما جمع الفرابي في عصر الموسوعية بين الموسيقى والفلسفة وأصول اللغة، يجمع قاسطون بشلار في العصر الحديث بين الفيزياء والشعر، فتوحد منهج الجمع البيني وتغير زمنه فقط.
- لا توجد فكرة التفاضل بين التخصصات في حقل الدراسات البينية، إذ الغاية في الأساس إيجاد حقل مشترك يحدث ذلك التكامل بين الميادين المختلفة.
- يترتب على النتيجة السابقة أنّ الحقل البيني يسقط أسطورة توظيف التخصص لرفض بعض الآراء المتشاركة وإسقاطها بدعوى صدورها عن غير متخصص، إذ العبرة في الحكم على النتائج المتوصل إليها.
- إنّ الهدف من الدراسات البينية ليس ذاتيا، وإنما هي حلقة واصلة بين عدد من الجهود العلمية لمواجهة إشكالية ما.

المراجع:

1- الألوسي تيسير عبد الجبار ،الموسوعية والتخصص بين نور المعرفة وظلام الجهل في حالتي التخلف والتقدم التكنولوجي، Somerion-states.com 2018

2- أنيس إبراهيم،عبد الحليم منتصر وآخرون(1960)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية،مصر،مادة بين.

3- البازغي سعد بن عبد الرحمن ،الدراسات البينية وتحديات الابتكار، مجلة جامعة الملك سعود للآداب،الرياض،مج25،ع2013،2.

4- بلانشير روبير (2014)، نظرية المعرفة العلمية،تعر حسن عبد الحميد،دار رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة.

5- جهاد حسن كاظم، البينية نشأتها ودلالتها، مجلة جامعة الملك سعود للآداب،الرياض،مج25،ع2013،2.

6- حسن عصفور محمد، الدراسات البينية والتخصصية في العلوم الإنسانية، مجلة جامعة الملك سعود للآداب، الرياض مج25،ع2 .

7- خميس عبد الهاني،البحوث البينية وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية،جامعة السلطان قابوس،عمان.

8- رمضان صالح بن هادي(2016)،التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية،مركز دراسات اللغة العربية وآدابها،جامعة الإمام محمد بن سعود ،الرياض .

9- عبد الرحمن طه ،الحق العربي في الاختلاف الفلسفي،المركز الثقافي العربي،ط1،المغرب.

10- قماري محمد،التفكير البيني نحو كسر للحواجز بين التخصصات،مجلة مقاليد،الرباط،ع14،2018.

11- القوا سمي فرح،محجوب زويري ،الدراسات البينية مكاسب وتحديات للأساتذة والطلاب،مجلة الفنار للإعلام-عن التعليم والبحوث والثقافة.al-fanarmedia.Org

12- محمد سيد بيومي محمد، معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية دراسة ميدانية ،مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية،جامعة السلطان قابوس،عمان،2013.

13- الملوكي محمد ناجي(2020)، علاقة الدراسات التخصصية في ضوء الدراسات البينية في ضوء مشروع تطبيقي،ندوة منصة أريد الدولية،القاهرة.

14- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم(1956)،لسان العرب،دار صادر،بيروت ،مادة بين.

15- النجار مازن، التخصص أم الموسوعية -هل المنهج العابر للتخصصات هو مستقبل الإنتاج المعرفي-،القناة الثالثة الجزيرة الثقافية، Al jazera.net 6-11-2019 .

16- نور الدين بنخود ، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات فهرسة وتمهيد.

17- Klein Julie Tompson et William h.n(2001) alvancinginterdis essaya frome littérature new York.-Morin Edgard(1994) Sur l interdisciplinarité in bulletin interactif du C.E.RT n2 juin 1994. http//ciret-transciplinarity.org.